نظرة عامة على اللغة العربية قبل عصر التدوين:

إن تراث أي أمة هو ركيزتها الحضارية,وجذورها الممتدة في باطن التاريخ,ومن أجل ذلك تحرص كل أمة في تأصيلها لواقعها على نبش تراثها واستلهام ما يمكن أن يكون له دور فعال في بناء واقعها منه.

والأمة العربة في حركة دائمة للنهوض بحا ضرها منذ زمن طويل,وقد اقترنت هذه الحركة الناهضة منذ بدايتها بالبحث عن الأصول,والاستفادة من التراث الفكري والأدبي,حيث ظهرت المؤلفات الأدبية العامة منذ القرن الثاني الهجري على يد عدد من علمائنا الذين صرفوا وقتهم في البحث والدراسة والاطلاع على تراث الأقدمين ورفد وه بمؤلفات قيمة ضمت حصيلة خبرتهم وتجاربهم في ميدان الثقافة والمعرفة,وقد فرضت هذه المؤلفات وجودها وقتا طويلا من الزمن في البلاد العربية والإسلامية ومعظم بلاد العالم حيث وجد المفكرون دعامة قوية,وأساسا راسخا لقيام نهضتهم الحديثة مما جعلهم ينكبون على تعلم اللغة العربية ليتمكنوا من الاطلاع على هذه المؤلفات وداستها وترجمة بعضها إلى اللغة اللاتينية ومن ثم إلى بقية اللغات الأوروبية,لأن الغرب بقي يعيش تخلفه الثقافي والاجتماعي والاقتصادي طوال هذه الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام ولم يبدأ ازدهاره إلا بعد احتكاكه بالعرب.

ومن هنا جاءت العناية بالتراث وسارت في اتجاهين هما:

أولا:الاتجاه الأول:

يهتم بتحقيق المخطوطات القديمة تحقيقا علميا,ويوثق مادتها ويطبعها طبعات دقيقة فييسر بذلك تداولها بين الناس والمشتغلين منهم بالحضارة الإسلامية خاصة.

ثانيا: الاتجاه الثاني:

ينصرف إلى دراسة المادة المستخلصة واستنباط المضامين الفكرية والروحية والإنسانية بعامة إلى تمثل جوهر ذلك التراث ,وعلى الرغم من تواصل

الجهود من جانب المجاميع العربية والجامعات والهيئات الرسمية,والأفراد ,ما يزال ما حقق من هذا التراث ونشره ليقاس حجمه بما هو منتظر من هذه العملية ,وما تزال الدراسات المتعلقة بهذا التراث تتلمس طريقها جيلا بعد جيل نحو بناء تصور أشمل وأعمق لهذا التراث ولمضامينه الإنسانية.

ومن أجل هذا سنقدم لطلابنا في بداية حياتهم الجامعية في قسم اللغة العربية وآدابها تعريفا بأهم المصادر الأساسية القديمة محاولين بذلك أن نصل ما ضيهم بحا ضرهم ,وهذه المصادر الأدبية واللغوية لم تظهر فجأة بل مرت بمراحل وأطوار من الإعداد والتمهيد,وهي مراحل تمثلت في الآتي:

(الرواية ,والجمع والتدوين للمعارف المختلفة متأثرة في الوقت نفسه بمراحل تطور وسيلة التدوين نفسها,وهي الكتابة اللغوية كما تتأثر بالأدوات اللازمة للكتابة ,وفي مقدمتها الورق فحين يتوفر شرط المعرفة بالكتابة وإتقان آلياتها,وتتوفر وسائل الكتابة اللازمة تنشط حركة التدوين .

تاريخ اللغة العربية قبل عصر التدوين

تجمع الدراسات الحديثة على أن العرب عرفوا الكتابة منذ العصر الجاهلي,ولكن معرفتهم لها كانت في حدود ضيقة جدا .فقد عرف عرب ما قبل الإسلام الكتابة في مراكز التحضر المختلفة مثل الحيرة وبلاد الشام واليمن وبعض حواضر الحجاز مثل مكة والمدينة ,ويقال أنه عند مجئ؛الإسلام كان في مكة حوالي سبعة عشر كاتبا وفي المدينة أحد عشر كاتبا, وإن كان يظن أن عددهم أكثر من ذلك, وقد تسربت الكتابة إلى بعض القبائل في البوادي حيث وصلنا من أخبار بعض الشعراء أنهم كانوا يعرفون القراءة والكتابة وذلك .إذ يذكر أن المرقش الأكبر وهو شاعر جاهلي كان يعرف الكتابة وذلك استنادا إلى قوله في إحدى قصائده:

الدار وحش والرسوم كما رقش في ظهر الأديم قلم

ويذكر أيضا أن أكثم بن صيفي التميمي وهو أحد خطباء الجاهلية كان بعرف القراءة والكتابة .كما كان في قريش بعض النسوة يعرفن الكتابة وقد ذكرهن التاريخ مثل: الشفاء بنت عبد الله العدو ية1,ودليلنا أيضا على وجود من يعرف القراءة والكتابة في العصر الجاهلي أن القرآن الكريم لما نزل على الرسول(صلى الله عليه وسلم) كان لا يخاطب العرب إلا بما يعرفون ,فدعاهم إلى ضرورة استخدام الكتابة في معاملاتهم .حيث تعالى :(يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه,وليكتب بينكم كاتب بالعدل,وليأب كاتب أن يكتب كما علمه الله.)5 وفضلا عن ذلك أقسم في أكثر من آية بالكتابة وأدواتها مثل قوله تعالى: (ن ,والقلم وما يسطرون)6وقوله أيضا: (والطور وكتاب مسطور في رق منشور)7.كما ذكرت لنا كتب التاريخ أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يعتق الأسير مقابل تعليمه لعشرة من أبناء المسلمين.

آراء بعض الباحثين حول حركة التدوين وحجمها:

لم يترك الباحثون الأوائل مجالا للشك في كون عرب ما قبل الإسلام كانوا يعرفون القراءة والكتابة ,والشواهد على تأكيد ذلك كثيرة وقد سبق أن أشرنا إليه وهو حركة التدوين وحجمها الذي كان مثار جدل ونقاش بين بعض الدارسين الذين

اختلفوا في تحديد ذلك ,فالخلاف بينهم يقوم أساسا حول حجم العملية أي المعرفة المدونة خاصة في العصر الجاهلي.وينقسم الباحثون حسب آرائهم إلى ثلاث فئات:

1- الفئة الأولى:وهي التي تنفي عن العرب تدو ينهم لمعارفهم وعلى رأسهم: (عمر الدقاق). صاحب كتاب :مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم .

2- الفئة الثانية: وهذه تقلل من شأن العملية ولا تنفيها وعلى رأس دعاتها:(المستشرق بلا شير).صاحب كتاب: تاريخ الأدب العربي

3ـ الفئة الثالثة: وهي التي يؤكد أصحابها على أهمية العملية وعلى رأس مؤيديها (ناصر الدين الأسد): صاحب كتاب:مصادر الشعر الجاهلي.

ومن ينفون عن العرب تدوينهم لمعارفهم نجد(عمر الدقاق) الذي يؤكد على ذلك حيث يقول:(لم يكن للعرب في فترة ما قبل الإسلام ثقافة مدونة وعلوم مسجلة فقد غلبت عليهم البداوة ,واستغرق حياتهم التنقل,ففشت فيهم الأمية ,ولم يتركوا خلال هذه الحقبة المديدة الغامضة من فجر حياتهم سوى نقوش قليلة تنبئ عما كان لهم من دور حضاري,حتى أن هذه النقوش لم تكن متوافرة إلا في بعض المناطق العربية كجنوبي جزيرة العرب وشمالها , حيث توجد الأحجار والصخور,على حين

كان باطن الجزيرة وأكثر ربوعها سهوبا وصحاري لم تسعف سكان ها العرب في ترك ميا سمهم على الأرض التي عاشوا فيها أحقابا مديدة)8.

وأما من يقللون من شأن عملية التدوين.فنجد المستشرق الفرنسي (ريجيس بلاشير)الذي يرجع دور الرواية الشفوية في سيرورة الشعر الجاهلي وانتشاره حيث نجده يقول:(لاشك في أن بعض الرواة في بعض المراكز الحضرية قد دونوا كتابة بعض القصائد الهامة ,ولكن ذلك يعوزه الدليل ,حتى ولو سلمنا بصحة وقوع ذلك فإن التدوين لم يشمل إلا جزءا من آثار الشعراء الحضريين أما البقية فقد سارت في الصحراء عن طريق الرواية الشفوية.

وخلاصة القول فإن ا لرواية الشفوية وحدها تؤلف الطريقة الأساسية لنشر الآثار الشعرية,منذ اللحظة التي قذف فيها الشاعر وراويته تلك الآثار في خضم الجماهير)9.

أما الذين يؤكدون على أن حجم التدوين كان كبيرا ولم يكن هينا فنجد على رأسهم ناصر الدين الأسد الذي يؤكد على(أن حجم التدوين لم يكن هينا. مشيرا إلى ماكان لدى النسابة (دغفل) من دواوين شعر الجاهليين ,ويشير أيضا إلى جمع النعمان بن المنذر ملك الحيرة للشعر العربي الجاهلي وتدوينه.ثم يشير كذلك إلى رواية ابن الكلبي عما أفاده من أسفار الحيرة

ونقوش كنائسها و ماكان فيها من أخبار العرب الجاهليين وأنسابهم,ثم يقول ناصر الدين الأسد كلها في كتب وأسفار ودواوين من الجاهلية نفسها)10.

مصادر جمع اللغة العربية:

1- القرآن الكريم
2- الشعربي الجاهلي
3- الحديث النبوي الشريف

المدارس اللغويـــة:

أولا : المدرسة الخليلية:

يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد المعجمات الأولى في العربية .فقد ابتكر طريقة جديدة في ترتيب الحروف على مخارجها الصوتية ،انطلاقا من علمه الواسع بالموسيقى ، كما تعرفون.

رفض الخليل الترتيب الأبجدي الذي اقتبسه العرب عن الفنيقيين وعدد حروفه اثنان وعشرون حرفا وأضافوا إليها الروافد التي ينفرد بها العرب عن غيرهم في اللغات السامية الأخرى وهي :(ث خ ذ ض ظ غ ء).

أما سبب رفضه لهذا الترتيب فهو أنه لا يستند إلى مبدأ معين أو منهج محدد ،ولأنه بدأ بالهمزة ،وهو حرف لا يستقر على قرار،وتتلاحق الأحرف في هذا الترتيب الأبجدي وفق ما يلي :(ا ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ) .وقد جمع أحدهم هذه الحروف فيما يلي:(أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ).

ورفض الخليل أيضا الترتيب وفق الأشباه والنظائر الذي وضعه :(نصر بن عاصم الليثي_ت90هـ). وذلك على الترتيب التالي :(ا ب ت ث ج ح خ ذ د ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي).

وقد خرج الخليل بطريقته الصوتية التي ترتب الحروف وفق خروجها من الحلق صعودا من أدنى إلى أعلى بدأ من الحلق وانتهاء بالشفتين ،لأن أساس اللغة في النطق وليس في الرسم ،أما الفم فهو الأداة التي تكون الحروف وتطلق الأصوات.

وهكذا قام الخليل بوضع سلمه اللغوي ،بعد دراسته للحروف العربية ،فرتبها بشكل آخر يتناسب مع مخارجها الصوتية ،وقال بأن العين والحاء والهاء والخاء والغين هي حروف حلقية ،لأنها تخرج من الحلق ،بعضها أرفع من بعض ،ثم قال بأن القاف والكاف هما حرفان لهويان لأنهما يخرجان من اللهاة ،أما الجيم والشين والضاد فهي حروف شجرية لأنها تخرج من شجر الفم ،بينما الصاد والسين والزاي هي حروف أسلية ،لأنها ،لأنها تخرج من أسلة اللسان ،والطاء والتاء والدال فهي حروف نطعية لأنها تخرج من نطع الفم الأعلى ،والظاء والذال والثاء هي حروف لثوية بعضها أرفع من بعض ،والراء واللام والنون حروف زلقية لأن ميدأها زلق اللسان ، ثم الفاء والباء والميم فهي حروف من حيز واحد فهي حرف شفوية لأنها تخرج من الشفة.

وأما الحروف الباقية وهي الواو والياء والهمزة فليس لها حيز تنسب إليه إلا الهواء فهي بذلك حروف هوائية ،إلاأنه جعل الواو والألف والياء قسما آخر .وتتابع بذلك الحروف العربية وفق طريقة الخليل الصوتية هذه على النحو التالي:(ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي ء).

وقد جمعها أحدهم في أبيات شعرية لتسهيل حفظها فقال :

ياسا ئلي عن حروفالعين دونكما في رتبة ضمنها وزن وإحصاء

العين والحاء ثم الهاء والخـــاء والغين والقاف والكاف أكفـــاء

والجيم والشين ثم الضاد يتبعها صاد وسين وزاي بعدها طـــاء

والدال والتاء ثم الظاء متصـــل بالظاء ذال وثاء بعدهـــــا راء

واللام والنون ثم الفاء والبـــــاء والميم والواو والمهموز واليـاء

وقد جمعها آخر في قوله:

عن حزن هجر جريدة غناجـــة قلبي كواه جوى شديد ضـــــرار

صحبي سيبتدئون زجري طلبـا دهشتي تطلب ظالم ذي ثـــــــار

ومعنى هذا أن كل كلمة تأخذ من أولها حرف .فمثلا (عن حزن)تأخذ (العين من عن ،والحاء من حزن).

معجم العين للخليل:

ألف الخليل معجم العين ورتبه وفق الطريقة الصوتية التي ابتكرها وجعله كتبا على عدد حروف الهجاء بعد أنسمى كل حرف كتابا وابتدأه بكتاب العين لأن حرف العين هو أول حرف من حروف الهجاء عنده .حيث كانت حروفه المبتكرة هي :(ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي ء). وسمى كتابه جملة بحرف العين من باب تسمية الكل بالجزء.

ثم بحث الخليل في أبنية الكلام عند العرب فوجدها لا تقل عن حرفين اثنين ،ولا تزيد عن خمسة أحرف وأما ما زاد عن ذلك فهي زائدة لا علاقة لها بأصل الكلمة ،لذلك حصر الأبنية بين الثنائي والخماسي.

ولم يكتف بهذا بل فصل المضعف والمعتل عن الصحيح وأفرد لها أبوابا مستقلة ،وبذلك تفرقت الألفاظ بشدة بين هذه الأبواب الكثيرة ،فأصبح البحث عنها صعبا إلا على العارف العالم بقواعد اللغة .

ولم يكتف الخليل بهذا أيضا بل زاد طريقته تعقيدا حين اعتمد مبدأ(التقاليب) وهو توليد كلمة من كلمة بتغير مواضع حروفها وهو ما يعرف بالاشتقاق الكبير(وهو توليد كلمة من كلمةبتغير مواضع حروفها).

والاشتقاق الصغير (وهو توليد الصيغ الصرفية المختلفة من الأصل الواحد للكلمة كالماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول كأن تأخذ مثلا كلمة (سلم) والتي معناها (السلامة) في تصريفها بالصيغ التالية: سلم يسلم سالم سلمان سلمى سلامة سليم .

وأما الاشتقاق الأكبر:(فهو اتفاق كلمتين في حرفين من حروفهما مع اختلافهما في الحرف الثالث مع وجود صلة بينهما في المعنى مثل : كد كدح وقص وقصم ونعق ونهق . وعلى أساسه تنقلب الكلمة الثنائية إلى صورتين مثل كلمة (عب) تنقلب إلى صورة أخرى(بع). وأما الثلاثية فتنقلب إلى ست كلمات مثل كلمة (شرب) برش شبر بشر رشب ربش وهكذا:لعب كتب ذهب وفيها طبعا الكلمات المستعملة والمهملة. وأما الكلمة الرباعية فنجد فيها أربع وعشرون كلمة (24) وأما الكلمة الخماسية ففيها مائة وعشرون كلمة(120).

وبهذا نجد الخليل قد حصر ألفاظ اللغة العربية في أكثر من اثني عشر مليون وخمسمائة ألف كلمة (12500000) وهو أمر مبالغ فيه كثيرا.

ورتب الخليل الألفاظ في معجمه وفق حروف الحلق ولكن بما أنه اعتمد مبدأ التقاليب السابق الذكر .فإنه لابد من إعادة ترتيب الكلمة المطلوبة على أحرف الحلق

قبل البحث عنها في المعجم .فكلمة (بقل) مثلا نجدها مشروحة تحت كلمة (قلب)أي أننا تحت كلمة (قلب)نجد شرح جميع الألفاظ التي تنقلب عنها ،علما بأنه لا يعيد شرح كلمة (بقل) في مكان آخر لأنه سبق أن شرحها في تقاليب مادة (قلب) لذلك جاءت الأبواب الأولى في المعجم طويلة ومكتظة بالمواد اللغوية مع تقاليبها المختلفة المستعملة والمهملة ،بينما جاءت الأخيرة أقصر حجما وأقل مادة.

أما طريقة الخليل في شرح المواد اللغوية فتشبه إلى حد بعيد ما رأيناه عند مؤلفي الرسائل اللغوية من معاصريه وسابقيه ،فهو يذكر :الأسماء والأفعال ومشتقاتها ، ويشرحها مستشهدا لها بالشعر الجيد والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة .

وطريقته في شرح المواد (عفوية)لا تعتمد نظاما معينا في سرد الألفاظ المشتقة من ا لمادة الواحدة .فهو يقول مثلا :في شرح كلمة (عق) العرب تقول :عق الإ،ويبن عن والده ،ويعق عقا ،إذ حلق لذلك عقيقة وذبح عنه شاة ،وتسمى الشاة التي تذبح لذلك عقيقة .وفي الحديث كل امرئ مرتهن بعقيقته.وفي حديث آخر أيضا أن الرسول (صلى الله عليه وسلم):عق عن الحسن والحسين ،فأعطى بزنة(بوزن)شعرهماورقا.ثم يورد اسما آخر مرادفا للعقيقة ويفسره بالمرادف ويذكر الجمع (والعقة): العقيقة ،وتجمع عققا وبعدها يفسر العقيقة بقوله :

(الشعر الذي يولد به ،وتسمى الشاة التي تذبح لذلك (عقيقة).وقال زهير في العقيقة:

أذلك أم أقب البطن جأب عليه من عقيقته عفاء

(أقب : البطن ضمر _ جأب: الحمار الغليظ –بوهة: الرجل الطائش الأحمق)

وقال امرؤ القيس:

يا هند لا تنكحي بوهـــــة عليه عقيقته أحســـــبا

ووجه الخليل عناية فائقة وخاصة لهجات العرب ولغاتهم حين تكرار معنى اللفظ الواحد أوعند استبدال حرف منه بآخر قد تعودته بعض القبائل أوحين تدعو ن المناسبة للمقارنة بين لهجتين وفي هذا قوله:(لخبع الخبء في لغة تميم يجعلون بدل الهمزة عينا ،وخبع الصبي خبوعا أي فحم من شدة البكاء حتى انقطع نفسه).

والقبيلة في قبيلة (طي) كالعنعنة في (تميم) وهي أن تقول :(يا أبا الحكأ وهو يريد :يا أبا الحكم) فيقطع كلامه عن بقية الكلام ،كما يحدث عند أهل وهران فيقولون يا عبد القا ويريدون يا عبد القادر .

والعنج بلغة (هذيل) هو الرجل ،ويقال بالغين ،وهذيل تقول :(عنج على شنج أي رجل على جمل).

وقد وردت هنات في معجم العين كثيرة مثل الأخطاء الصرفية والتحريف وعدم استفاء الصيغ الواردة في كلام العرب ،كما أهمل أبنية مستعملة وهي هنات لا يمكن أن يقع فيها عالم كبير مثل الخليل لذلك نعتقد أنها وقعت بسبب النساخ.

المعاجم التي تتبع المدرسة الخليلية:

1- العين للخليل بن أحمد الفارهيدي
2- البارع للقالي البغدادي صاحب الأمالي الأندلسي
3- تهذيب اللغة للأزهري
4- المحيط للصاحب بن عباد
5- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيدة الأندلسي.

ثانيا: المدرسة الجوهرية:

رائد المدرسة الجوهرية هو الإمام الجوهري (400-332هـ) أبو النصر إسماعيل بن حماد أصله من مدينة (فاراب) من بلاد الترك تلقى تعليمه على أشهر علماء عصره ،وخاله (الفارابي اللغوي المعروف) له خط جميل ألف كتاب (الصحاح)في مدينة نيسابور .وهناك توفي عندما صعد إلى سطح جامعها القديم ،وقد ضم إلى جانبيه جناحي باب محاولا الطيران ،فألقى بنفسه من أعلى مكان فيه فمات . له مؤلفات كثيرة منها :كتاب العروض وكتاب المقدمة في النحو وغيرهما كثير.

أوجد طريقة خالف فيها الطرق الأخرى التي عرفت قبله فكانت منهجا اقتدى فيها من جاء بعده.

اعتمد الجوهري طريقة الترتيب على حروف الهجاء (الطريقة الألف بائية) ولكن وفق أواخر الأصول بدلا من أوائلها.

تتميز طريقته بما يلي:

1- تقسيم مواد المعجم إلى ثمانية وعشرين بابا بعدد حروف الهجاء أولها باب الهمزة وآخرها باب الياء .
2- تسمية الحرف الأخير من أصل الكلمة بابا.
3- تسمية الحرف الأول من أصل الكلمة فصلا.

4- تجزئة كل باب من الأبواب إلى ثمانية وعشرين فصلا .
5- دمج الواو والياء في باب واحد ،لأن الألف المقصورة أصلها ياء أو واو .وذلك بغية تسهيل إرجاعها إلى أصلها،مع تأخير الألف اللينة غير المهموزة ولا المنقلبة عن واو أوياء إلى مابعد باب الواو والياء.
6- خالف في الفصول ما اتبعه في الأبواب بخصوص الواو ،فلم يجمع بينها وبين الياء ، ولكنه فصل بينهما فصلا واضحا عندما قدم الواو على الهاء ثم الياء .
7- راعى ترتيب الألفاظ داخل الفصول جميع حروف الكلمة الواحدة وذلك على ترتيب الألفباء.

وهكذا يكون الجوهري قد رتب الألفاظ تبعا لأواخرها أي لحرفها الأخير على عكس ما رأينا عند أصحاب المعجمات قبله ،كما أهمل نظام التقاليب والأبنية التي اعتمدها الخليل ومن تبعه وكانت طريقته معقدة ،فخلص الجوهري بطريقته اللغة من تلك التعقيدات ووصل بها أفضل المراتب بكثير وقد هداه إلى ذلك علمه وذكاؤه في علم الصرف والنحو واللغة.

يقول الجوهري في مقدمة كتابه (الصحاح) عن طريقته وترتيبها ما يلي:(أودعت كتابي هذا ما صحح عندي من هذه اللغة ...على ترتيب لم يسبق إليه ،وتهذيب لم أغلب عليه ،في ثمانية وعشرين بابا وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها،إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول).

التزم الجوهري التسلسل الهجائي الكامل داخل الفصول دون اعتبار لنظام الأبنية كما ذكنا .فهو يرتب الألفاظ داخل الفصول ترتيبا هجائيا كاملا سواء كانت هذه الألفاظ ثنائية أم ثلاثية أم رباعية أم خماسية .فاللفظ الثلاثي عنده يرتب في بابه تبعا لحرفه الأول ،ثم الثاني فالثلث فالرابع وهكذا بالنسبة للخماسي وهي طريقة سهلة متقنة ،حق الجوهري أن يفخر بها على من سبقه يقول:(أما بعد فإني أودعت هذا الكتاب ما صح عندي من هذه اللغة التي شرف الله منزلتها ،وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه ،وتهذيب لم أغلب عليه... بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية ومشافهتي بها العرب العاربة في ديارهم بالبادية ،ولم آل في ذلك نصحا ،ولا ادخرت وسعا).

وكان الجوهري (قد دخل ديار ربيعة ومصر في طلب الأدب وإتقان لغة العرب).

وانطلاقا مما تقدم نقول أنه إذا أردنا استخراج كلمة من أحد معجمات الباب والفصل نعمل أولا على تجريدها من الزوائد ثم ننظر إلى الباب أولا

أي إلى حرفها الأخير وهو باب الكلمة ثم ننظر إلى حرفها الأول وهو الفصل.
فكلمة (يكتب) مثلا نجردها من الزوائد فتصبح (كتب) فنبحث عنها في حرف الباب (باب الكلمة) ثم في حرف الكاف (فصل الكلمة)
وكلمة (عاقبة) مصدرها (معاقبة) وزنها مفاعلة نخرج الأحرف الزائدة على فعل في الميزان ثم نخرج ما يقابلها في الكلمة وهي (عقب) أي أننا نجد معنى (عاقبة) في مادة (عقب) .وفي باب الباء فصل العين.
وكلمة (رتب) وزنها (فعل) وهي مزيدة بعين مضعفة أصلها (رتب) نبحث عنها في باب الباء فصل الراء .
أما كلمة (استعمار) فوزنها (استفعال) وهي مزيدة وأصلها (عمر) ونجدها في باب الراء فصل العين.

وقد قال أحدهم في طريقة الجوهري شعرا:

إذا رمت كشفا في الصحاح للفظة فآخرها للباب والبدء للفصل
ولا تعتمد في بدئها وأخيـــــــرها مزيدا ولكن اعتمادك للأصل

والمعجمات التي اتبعت الجوهري في طريقته تتمثل في:

1- لسان العرب لابن منظور
2- القاموس المحيط للفيروزبادي الفارسي
3- تاج العروس للمرتضى الزبيدي

وهكذا فقد خطا الجوهري في طريقته المبتكرة هذه بالمعجم العربي خطوة كبيرة نحو الأمام وخلصه من كثير من التعقيدات وهي خطوة رائدة اقتدى بها عهده من علمائنا في المعجمات .

ثالثا: المدرسة البرمكية:

يعد أبو عمر الشيباني رائدا من رواد هذه المدرسة غير أنه لم يلتزم في الترتيب على أوائل الأصول إلا بالحرف الأول بينما أهمل ذلك بالنسبة لبقية حروف الكلمة أما رائد المدرسة الفعلي فهو الإمام البرمكي علما بأنه لم يؤلف معجما وإنما أعاد ترتيب كتاب الصحاح للجوهري وفق أوائل الأصول باعتبار حروف أصول الكلمات جميعها فهو لذلك مبتكر طريق الترتيب الهجائي في المعجم على جميع حروف أصول الكلمة بدءا من الحرف الأول وانتماء بالحرف الأخير.

وأما طريقته المبتكرة هذه فتتجلى في أخذ الفصول من أبواب كتاب الصحاح وجميعها مرتبة في في مكان واحد فقد أخذ مثلا من باب الهمزة فصل الهمزة ومن باب الباء فصل الهمزة ومن باب التاء فصل الهمزة وهكذا جمع فصل الهمزة من

جميع الأبواب ورتبها ترتيبا ألفبائيا بالنسبة لحروف أصولها جميعا أولا بأول ثم انتقل إلى حرف الباء فجمع فيه فصل الباء من باب الهمزة وفصل الباء من باب الباء ثم فصل الباء من أبواب التاء والثاء والجيم حتى الياء ورتبها تماما كما فعل في الحرف السابق واستمر على هذا النحو حتى انتهى من حروف الهجاء جميعها.

وبذلك أصبح معجم الصحاح مرتبا وفق أوائل الأصول بدلا من أواخرها مع بعض التعديل في المفردات والشروح لأن البرمكي لم يتقيد تقيدا تاما بمفردات وشروح الجوهري بل أضاف إليها أشياء جديدة كثيرة.

ونورد فيما يلي أنموذجا لرؤوس المواد كما وردت في باب الهمزة عند البرمكي وهو أنمذج يوضح طريقته الدقيقة في الترتيب على جميع الحروف وهي الطريقة نفسها المعتمدة اليوم في تأليف المعجمات الحديثة.

(أ آ ابب ابت ابث ابد ابر ابز ابس ابض ابط ابغ ابق ابل ابن ابه ابو ابي اتب اتت اتل اتم اتن اته اتو اتي اثت اثر اثف اثل اثم اثو اجأاجج اجر اجص اجل اجم اجن احح احد احن اخذ اخر اخو ...الخ).

وهو ترتيب دقيق محكم ابتكره البرمكي وسبق به الزمخشري وأصحاب المعجمات الحديثة كلها الذين رتبوا معاجمهم على أوائل الأصول وكلهم ساروا على نهجه ونسجواعلى منواله .

المعجمات التي ألفت وفق هذه الطريقة من المعجمات القديمة وهي:

1- **معجم الجيم للشيباني**
2- **جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي**
3- **مقاييس اللغة لابن فارس**
4- **أساس البلاغة للزمخشري**

رابعا : المدرسة العبيد ية:

عني اللغويون العرب منذ بداية التدوين بتصنيف كتب اللغة تبعا لموضوعاتها أي جمع ألفاظ اللغة وتدوينها على معانيها وليس على حروفها الهجائية لأن غرض ه1ا النوع من التأليف لم يكن يتجه نحو تصنيفها داخل مجموعات أو زمر وفق كل مجموعة منها تحت موضوع واحد وتساعد هذه الطريقة في التبويب (الكتاب والشعراء) على معرفة اللفظة التي يريدون استخدامها للتعبير عن معنى يجول في خاطرهم ولا يدرون كيف يعبرون

عنه بدقة ،كأن يريد أحدهم مثلا:التعبير عن (ابتهاجه) بلفظة تعني (الفرح) أو عن حزنه بلفظة تعني (الألم الشديد) وفي مثل هذه الحال ما عليه الأديب إلاأن يرجع إلى أحد معجمات المعاني المناسبة للبحث عن الكلمة التي يريدها ويكشف عنها في بابها لأن هذه المعجمات ترتب ترتيبا موضوعيا،فهو يعثر في باب (الفرح) مثلا على الألفاظ العربية التي تؤدي معنى الفرح بأنواعه ودرجاته وفي باب (الحزن) على الألفاظ العربية التي تؤدي معنى الحزن أيضا وهذه المعجمات تفيد على وجه الخصوص (الكتاب) الذين يعتمدون الصنعة الكلامية و(الشعراء) قي قوافيهم الشعرية وغيرهم ممن ينشدون المرادفات اللفظية.

وقد قام علماؤنا الأجلاء في هذا المجال بتأليف الرسائل المختصرة أولا ومنها انتقلوا تدريجيا إلى تأليف المعجمات الكبيرة وهو تطور يشبه إلى حد كبير ما رأيناه في المعجمات التي اهتمت بالألفاظ.

وهكذا يمكن القول أن جمع ألفاظ اللغة العربية وترتيبها على طريقة المعاني مرت أيضا بثلاثة مراحل تاريخية متداخلة شأنها في ذلك شأن مراحل ظهور معجمات الألفاظ .

فقد ظهرت في المرحلة الأولى :رسائل صغيرة متفرقة يستقل كل منها بموضوع واحد من موضوعات :(الإنسان أو الطبيعة أو الحيوان أو النبات) ،فيجمع حوله كل ما يتعلق به من ألفاظ وصفات وأفعال وأمثال وأشعار ومن أمثلة ذلك (كتاب الخيل للأصمعي وكتاب المطر لأبي زيد الأنصاري) ثم ألف العلماء في المرحلة الثانية :(كتابا أكبر حجما وأكثر شمولا واستيعابا من الرسائل السابقة الذكر في المرحلة الأولى).

ومن أمثلة المرحلة الثانية نجد :(أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارهالابن الكلبي والألفاظ لابن السكيت والألفاظ الكتابية للهمداني وجواهر الألفاظ لابن جعفر).

وأما المرحلة الثالثة فقد نضجت حركة التأليف بشكل أفضل وبرزت فيها معالم التنظيم والاتساع والشمول .ومن أشهر كتبها فقه اللغة للثعالبي وكتاب المخصص لابن سيدة الأندلسي.)

وقد نسبت هذه الطريقة في التأليف لأبي عبيد لأن كتابه (الغريب المصنف)هو أقدم كتاب وصلنا في ترتيبه على طريقة الموضوعات.

ولأنه كتاب كبير الحجم يضم أكثر من ثلاثين بابا جمع شمل الرسائل الصغيرة التي ألفت قبله وابتكر لها طريقة بديعة جميلة في الترتيب على الموضوعات وهو ما سنعرض له بشكل أكثر تفصيلا عند حديثنا عن كتابه (الغريب المصنف).

رسائل المعاني:

هذه الرسائل هي شكل من أشكاللاجمع اللغة صنفت فيها المفردات تصنيفا موضوعيا على معنى واحد من المعاني تناول بعضها أعضاء الإنسان وبعضها ألفاظ تتعلق بحياته الإجتماعية كالأخبية والدارات والأثواب والرحل والسلاح وغيرها مثل : كتاب (خلق الإنسان للأصمعي وكتاب الرحل والمنزل لابن قتيبة بينما تناول الآخر الطبيعة والحيوانات والنبات إذ وضعت فيها رسائل مختصرة كمثل كتاب (الإبل وكتاب الخيل وكتاب النبات والشج روكلها للأصمعي وكتاب المطر وكتاب اللبأ واللبن لأبي زيد الأنصاري وكتاب الخيل لأبي عبيدة وهو كتاب مصدر بمقدمة طويلة عن محبة العرب واهتمامهم بالخيل وعن أهميته في الجهاد مع شواهد مناسبة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر ،وبعد هذه المقدمة يبدأ في الحديث عن أعضاء رأس الفرس ثم عن فحول الخيل وإناثها وأولادها وعن عيوبها وألوانها ومشيتها مقرونة بشواهد من الشعر والرجز وينتهي بعرض مجموعة من القصائد الشعرية في وصف الخيل .

وقد نعرض فيما يلي نماذج من بعض هذه الرسائل لنتعرف على طريقة التأليف فيها :

قال االأصمعي في كتاب :(النبات والشجر).

(والمرخ والعفار شجر كثير النار يتخذ منه الزناد ومثل من الأمثال :في كل شجر نار واستمجد المرخ العفار والأل الأثل والطرفاء واحدتها طرفة والحلفاء واحدتها حلفة).

وقال أبو زيد في كتاب (المطر) لأبي زيد الأنصاري :(أسماء الرعد :الرعد والرعود ويقال رعدت السماء فهي ترعد رعدا وأرعد القوم إرعادا إذا أصابهم الرعد.وفي الرعد الإرزام وهو صوت الرعد غير الشديد منه ويقال

أرزم الرعد إرزاما وفيه التهزم وهو أشد صوت الرعد شديده وضعيفه وهو الهزيم ويقال تهزم الرعد تهزما وانهزم انهزاما وفيه القعقعة وهو تتابع صوت الرعد في شدة وجمعها القغاقع وفيه الرجس والرجسان وهو صوت الرعد الثقيل رجس العد ورجست السماء ترجس رجسا نا ورجسا وقيه الصاعقة وهي نار تسقط من السماء في رعد شديد ويقال أصعقت علينا السماء إصعاقا).

وقد أبت كل هذه الرسائل وأمثلتها في معجم المعاني الذي جمعه وألفه أبو عبيد وأسماه (كتاب الغريب المصنف) .

اعتمد أبو عبيد في تأليف كتابه هذا على الرسائل اللغوية التي ألفت قبله على الموضوعات المفردة وبخاصة كتب الأصمعي وأبي زيد وأبي عبيد وغيرهم وأدخلها بكاملها في أبواب كتابه ملتزما الإسناد في الرواية.وقد نسبت إليه طريقة الترتيب على الموضوعات التي سبق الحديث عنها لأن كتابه أقدم كتاب وصلنا في موضوعاته ولأنه كتاب كبير الحجم جمع المؤلف ألفاظ اللغة مبوبة تبويبا موضوعيا وضم أكثر من ثلاثين كتابا هذا فضلا عن حسن تنظيمه وشموله فقد كتب في خلق الإنسان واللباس والطعام والشراب والسماء والأرض والرحل والنخيل والسلاح وغيرها ،وعقد بابين للنوادر أحدهما لنوادر الأسماء وآخر لنوادر الأفعال.

وأما طريقة شرحه فهي كسابقيه يفسر اللفظة ويستشهد له بالقرآن أو الحدث والشعر ويبقى له الفضل في جمع الآثار عن مدرسة الكوفة والبصرة.قال المسعودي صاحب (مروج الذهب) (سمعت أبا عبيد يقول هذا الكتاب أحب إلي من عشرة آلاف دينار- يعني الغريب المصنف – وعدد أبوابه على ما ذكر ألف باب ومن شواهد الشعر ألف ومائة بيت).

ثانيا :مصادر الأدب:

أولا: المجامع الشعرية القديمة:

1- المفضليات للمفضل الضبي
2- الأصمعيات للأصمعي وهو تلميذ المفضل
3- جمهرة أشعار العرب للقرشي

ثانيا:المجامع الأدبية القديمة:

1- الكامل للمبرد
2- البيان والتبيين للجاحظ
3- العقد الفريد لابن عبد ربه
4- زهر الآداب للحصري التونسي

ثالثا: المجامع النقدية القديمة:

1- الشعرو الشعراء لابن قتيبة
2- طبقات الشعراء لابن المعتز
3- العمدة لابن رشيق المسيلي القيرواني
4- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني
5- منهاج البلغاء وسراج الأدباء للقرطاجني التونسي
6- أحكام صنعة الكلام للكلاعي
7- المثل السائر لابن أثير

رابعا :كتب النقد القديمة:

1-نقد الشعر لقدامة بن جعفر

2-طبقات فحول الشعر لابن سلام الجمحي

3-الأمالي لأبي علي القالي البغدادي الأندلسي

خامسا:**كتب تاريخ الأدب:**

1- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر لسان الدين بن الخطيب للمقري التلمساني
2- أزهار الرياض للمقري التلمساني
3- الوفيات لابن قنفد القسنطيني
4- الفهرست لابن النديم
5- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم لابن بشكوان
6- الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة لابن بسام
7- نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمانللأمير ابن الأحمر الغرناطي الأندلسي
8- أعلام الجزائر في القرن العشرين لعادل نويهض
9- شعراء الجزائر في القرن الواحد والعشرين لعبد الملك مرتاض
10- ديوان الشعر الزياني الجزء الأول نوار بوحلاسة
11- شعراء الجزائر الآن لمحمد العيد تاورة وآخرون.